IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد العاشر – العدد الثالث – البحث السادس (ص: 112 - 120)
15 – أيلول – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

[مزايا العدل في القرآن الكريم]

[أسم الباحث: د. الشيخ محمد العاقب الطالب معزوز]

الحمد لله الذي أقام بالعدل نظام ملكه، وثَبَّت به أركان شريعته، وجعله دعامة السلام، وسبيل السعادة بين الأنام، أحمده سبحانه وأشكره على جزيل الفضل والإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، يجازي على العدل بِرًّا وإحساناً، وعلى الظلم والجَور عذاباً وهواناً، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، خير من رفع للعدل مناراً، وأعلى له شعاراً، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وقد قسمت هذا المقال العلمي إلى مبحث ومطلبين وخاتمة.

المبحث: مزايا العدل في القرآن الكريم

لا شك أن العدل بين الناس من الأعمال التي يحبها الله سبحانه وتعالى لم تختلف الشرائع على وجوب العدل، فقد أجمعت على الحثّ على إقامته، ولم يأت رسول أو نبيّ إلّا وأُمر بالعدل وأُمر باتباعه وبالتمسك به كمنهج حياة، وللعدل صور، ولتلك الصور فروعٌ، وفيما يأتي بيانها:

المطلب الأول: العدل في الأقوال ومزاياه الاجتماعية

أوصى الله تعالى عباده بالعدل في القول قال جل من قائل: (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى 1)، الصدق في الأقوال يكون مقابل الكذب والمعنى: أنهم يطابق أقوالهم ما انطوت عليه قلوبهم من الإيمان والخبر فإذا أخبروا بشيء كان صدقا لا يتطرق إليه الكذب، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : "لا يزال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صادقا، ولا يزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذابا"2.

قال الرازي رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية: واعلم أن هذا أيضا من الأمور الخفية التي أوجب الله تعالى فيها أداء الأمانة والمفسرون حملوه على أداء الشهادة فقط والأمر والنهي فقط قال القاضي وليس الأمر كذلك بل يدخل فيه كل ما يتصل بالقول فيدخل فيه ما يقول المرء في الدعوة إلى الدين وتقرير الدلائل عليه بأن يذكر الدليل ملخصا عن الحشو والزيادة بألفاظ مفهومة معتادة قريبة من الأفهام ويدخل فيه أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واقعا على وجه العدل من غير زيادة في الإيذاء والإيحاش ونقصان عن القدر الواجب ويدخل فيه الحكايات التي يذكرها الرجل حتى لا يزيد فيها ولا ينقص عنها ومن جملتها تبليغ الرسالات عن الناس فإنه يجب أن يؤديها من غير زيادة ولا نقصان ويدخل فيه حكم الحاكم بالقول ثم إنه تعالى بين أنه يجب أن يسوى فيه بين القريب والبعيد لأنه لما كان المقصود منه طلب رضوان الله تعالى لم يختلف ذلك بالقريب والبعيد.3

هذا الأمر بالصدق جامع كل المعاملات بين الناس بواسطة الكلام وهي الشهادة، والقضاء، والتعديل، والتجريح، والمشاورة، والصلح بين الناس، والأخبار المخبرة عن صفات الأشياء في المعاملات: من صفات المبيعات، والمؤاجرات، والعيوب، وفي الوعود، والوصايا والأيمان، وكذلك المدائح والشتائم كالقذف، فكل ذلك داخل فيما يصدر عن القول.

---

[1]- سورة الأنعام الآية152

[2]-صحيح ابن حبان م س رقم الحديث 272 ج1 ص507 ومسند أحمد م س رقم الحديث 4187 ج7 ص246 ومسند أبي يعلى م س رقم الحديث 5363 ج9 ص245

[3]-تفسير الرازي م س ج13 ص180

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد العاشر – العدد الثالث – البحث السادس (ص: 112 - 120)
15 – أيلول – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: (وإذا قلتم فاعدلوا)، وإذا حكمتم بين الناس فتكلمتم فقولوا الحق بينهم، واعدلوا وأنصفوا ولا تجوروا، ولو كان الذي يتوجه الحق عليه والحكم، ذا قرابة لكم، ولا تحملنكم قرابة قريب أو صداقة صديق حكمتم بينه وبين غيره، أن تقولوا غير الحق فيما احتكم إليكم فيه (وبعهد الله أوفوا) ، يقول: وبوصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا.

وإيفاء ذلك: أن يطيعوه فيما أمرهم به ونهاهم، وأن يعملوا بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك هو الوفاء بعهد الله. وأما قوله: (ذلكم وصاكم به)، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل للعادلين بالله الأوثان والأصنام من قومك: هذه الأمور التي ذكرت لكم في هاتين الآيتين، هي الأشياء التي عهد إلينا ربنا، ووصاكم بها ربكم، وأمركم بالعمل بها لا بالبحائر، والسوائب، والوصائل، والحام، وقتل الأولاد، ووأد البنات، واتباع خطوات الشيطان (لعلكم تذكرون)، يقول: أمركم بهذه الأمور التي أمركم بها في هاتين الآيتين، ووصاكم بها وعهد إليكم فيها، لتتذكروا عواقب أمركم، وخطأ ما أنتم عليه مقيمون، فتنزجروا عنها، وترتدعوا وتنيبوا إلى طاعة ربكم.4

الكذب قبيح مذموم، فقد حث الإسلام على توخي الصدق قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ5) قال سعيد حوى رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية: أي كونوا مع الذين صدقوا في دين الله قولا ونية وعملا، وقد عرف الله هؤلاء الصادقين في أكثر من مكان في كتابه، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الحجرات (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) فمن اجتمع له الإيمان والجهاد بأنواعه فهو الصادق وهو الذي أمرنا الله أن نكون معه، وما أكثر ما غفل المؤمنون عن هذا المعنى، وما أكثر ما ادعى الصدق غير أهله.6

وأوصى الله المؤمنين بإقامة العدل مع الناس كافة حتى الأعداء الذين يبغضونهم ويحاربونهم، فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى واتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ7) قال ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية: أي: لا يحملنكم بغض أقوام على ترك العدل، فإن العدل واجب على كل أحد، في كل حال.وقال بعض السلف: ما عاملت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، والعدل به قامت السموات والأرض.8

وقال عقيل بن عطية: الصدق في الأقوال فيقدر عليه أكثر المسلمين في مخاطبتهم ومحاورتهم فيما بينهم، وذلك سهل على من لم يتعود الكذب، وإنما الشأن في صدق الأقوال مع الله عز وجل، فإن ذلك لا يقدر عليه إلا أفراد من المؤمنين ممن امتحن الله قلوبهم للتقوى، فيجعلون أعمالهم موافقة لأقوالهم.ومثال ذلك ما قاله بعض العلماء في من كان عبدا حقا لله تعالى، بأن ترك ما عداه وأقبل بكليته عليه أنه إذا قال:(إِيَّاكَ نَعْبُدُ9) صدق هذا القول منه يوم القيامة، ومن كان عبدا لهواه أو لدنياه لم يصدق في حقه قوله: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) ولذلك قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "تعس عبد الدينار وعبد الدرهم"10 فجعله عبدا لهما كان مشغوفا بهما وحريصا على

4- تفسير الطبري م س ج12 ص225

5-سورة التوبة الآية119

6- الأساس في التفسير المؤلف: سعيد حوّى (المتوفى 1409 هـ)ج4ص2371الناشر: دار السلام - القاهرة الطبعة: السادسة، 1424 هـ

7-سورة المائدة الآية 8

8-تفسير ابن كثير م س ج2ص 12

9- سورة الفاتحة الآية 5

10-صحيح البخاري م س رقم الحديث 2887 ج4 ص 34 وسنن ابن ماجه م س رقم الحديث 4135 ج2 ص 1385 والسنن الكبرى للبيهقي م س رقم الحديث 18498 ج9 ص268

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد العاشر – العدد الثالث – البحث السادس (ص: 112 - 120)
15 – أيلول – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

جمعهما.11وقد كان -صلى الله عليه وسلم- يقوم لله بالشهادة فيعطي كل ذي حق حقه، وفي سيرته العطرة مئات الشواهد التي تفيد التزامه المطلق بإنزال الناس منازلهم، وذكر محاسنهم وميزاتهم، مهما كان انتماؤهم وحيث كان موقعهم.

ولما جاءه المسلمون بسفانة بنت حاتم الطائي في السبي ، فذكرت لرسول -صلى الله عليه وسلم- من أخلاق أبيها ونبله فقال لها :"يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً لو كان أبوك مؤمناً لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق والله تعالى يحب مكارم الأخلاق"12 لقد ظهر لنا من وقوف رسول الله صلى الله عليه وسلم-من حاتم الموقف الذي تميل إليه الشريعة الغراء التي جاء بها فأثنى عليه وأطلق سراح ابنته وأكرمها ولكنه لم يترحم عليه لعدم إيمانه لتهتدي الأمة بهذا الهدي النبوي العظيم.

وعلى هذا المنوال نسج الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، عند إصدار الأحكام على الخصوم، فضلا عن الإخوة والرفاق. وظل روح العدل والإنصاف سارياً في الأمة قروناً عديدة، وتجلى ذلك بشكل واضح جداً في القواعد التي صاغها المحدثون في الجرح والتعديل حيث وضحوا الجوانب المختلفة لشخصية الراوي، وحكموا على كل زاوية على حدة، ثم انتهوا إلى حكم عام حوله، وصار عندهم من الظواهر المألوفة أن يطلب أحدهم الدعاء من رجل فإذا جاءه حديث عن طريقه حكم على الحديث بالضعف لأن طلب الدعاء مبني على اعتقاد الصلاح، أما قبوله روايته فيعتمد على شيء آخر كضبط الراوي وعلمه ونباهته، وغير ذلك من الشروط.

والصدق في الأقوال وهو: استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها.

قال سعيد حوى رحمه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى:(ولو كان ذا قربى) أي ولو كان المقول له أو عليه، في شهادة، أو غيرها، من أهل قرابة القائل، فالمحرم الكذب وشهادة الزور.13

فيجب على كل عبد أن يحفظ ألفاظه ولا يتكلم إلا بالصدق. وصدق اللسان أشهر أنواع الصدق وأظهرها، وأن يحذر من الكذب ومن الأشياء التي تجانس الكذب، وينبغي أن يراعي معنى الصدق في ألفاظه التي يناجي بها ربه مثلا: كقوله وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض، فإن كان قلب العبد منصرفاً عن الله منشغلاً عن الدنيا وهو يقول: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض في الصلاة في الاستفتاح فهو كاذب.

قال أبو فرج الجوزي رحمه الله تعالى: إذا تكلم، أو شهدتم، فقولوا الحق، ولو كان المشهود له أو عليه ذا قرابة. وعهد الله يشمل ما عهده إلى الخلق و أوصاهم به، وعلى ما أوجبه الإنسان على نفسه من نذر وغيره.14

الصدق في الأقوال: لا يكون إلا في الأخبار، أو ما يتضمن الإخبار، والخبر إما أن يتعلق بالماضي فلا يخبر عن الأشياء على خلاف ما هي عليه، أو بالمستقبل كالوفاء

بالوعد، والعهد. وهذه المرتبة من الصدق هي التي يحصر كثير من الناس الصدق فيها، ولا يتجاوزونها إلى غيرها، ولا شك أنها مرتبة عظيمة وتكميلها من أعز الأمور، و أشقها على النفس، ولكنها يسيرة على من يسرها الله عليه، وجاهد نفسه في تحقيقها.

11- تحرير المقال في موازنة الأعمال وحكم غير المكلفين في العقبى والمآل المؤلف: أَبُو طالب وأَبُو المجد عقيل بن عطية بن أبي أحمد جعفر بن محمد بن عطية القضاعي الأندلسيّ الطَرطوشيّ، ثُمّ المَرَاكُشيّ (المتوفى: 608هـ)ج1 ص47

ومعه: مراتب الجزاء يوم القيامة، لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي (المتوفى سنة 488)المحقق: مصطفى باحو الناشر: دار الإمام مالك، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة الطبعة: الأولى، 1427 هـ - 2006 م

12- أنظر: السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)ج4صص132والكتاب: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) ج5 ص341الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - 1405 هـ

13-الأساس في التفسير م س ج3 ص 1790

14- زاد المسيرفي علم التفسير م س ص477

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد العاشر – العدد الثالث – البحث السادس (ص: 112 - 120)
15 – أيلول – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

والصدق في الأقوال له صور عديدة منها:

أ- الصدق في نقل الأخبار:

فلا ينقل المسلم إلا الأخبار الصادقة، وهذا بدوره يتطلب من الناقل التثبت فيما يقال، واجتناب الظنون والأوهام والحذر من التحدث بكل ما يُسْمَعُ،وقديما قيل "أكذب الناس من يحدث بكل ما سمعه" فمن حفظ لسانه من الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه، فهو صادق في خبره، وهذا يقتضي الابتعاد عن الظنون والإشاعات.

قال صلى الله عليه وسلم: " إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تباغضوا، وكونوا إخوانا،"15

وقال صلى الله وسلم :"كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع"16

ب- الصدق في الوعد:

لأن إعطاء الوعد غالباً ما يكون بالقول، فالوفاء بالوعد من الصدق في الأقوال، وإخلافه يعد كذباً، إلا إذا كانت النية عند إعطاء الوعد صادقة ثم حال بينه وبين تنفيذ الوعد أمر خارج عن إرادته، فإن هذا لا يعد إخلافاً للوعد وبالتالي لا يعتبر كذباً، والوعد قد يكون على مكان معين أو في زمن معين أو على أعطية أو زواج أو أي أمر آخر يعد به الرجل أخاه، فإن الإخلاف في هذه الأمور وأمثالها بدون مبرر شرعي يعتبر كذبا. لقوله تعالى: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا 17) قال الألوسي رحمه الله تعالى: وإذا روعي الصدق في المواطن كلها كالخاطر والفكر والنية والقول والعمل صدقت المنامات والواردات والأحوال والمقامات والمواهب والمشاهدات فهو أصل شجرة الكمال وبذر ثمرة الأحوال وملاك كل خير وسعادة وضده الكذب فهو أسوأ الرذائل وأقبحها وهو منافي المروءة.18

ج -الوفاء بالعقود والعهود:

وهذا أيضاً من الصدق في الأقوال، فإخلاف العهد والغدر فيه من أشد أنواع الكذب. قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ19) وقال تعالى: (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا20) قال الألوسي رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية: فالمراد بالعهد ما لا يحلل حراما ولا يحرم حلالا من العهود الجارية فيما بين الناس، والظاهر حمل العهد على ما يشمل حقوق الحق وحقوق الخلق، وحذف المعمول يؤذن بذلك، والتقييد بالظرف للإشارة إلى أنه لا يتأخر إيفاؤهم بالعهد عن وقت المعاهدة.21

ومن الوفاء بالعهد كتمانه، إذا كان يعلم أن صاحب العهد لا يحب أن يعلم به أحد.

قال صلى الله عليه وسلم في التحذير من صفات المنافقين ، يقول صلى الله عليه وسلم: " أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"22.

15-صحيح البخاري م س رقم الحديث 5143ج7ص19وصحيح مسلم م س رقم الحديث 28 - (2563)ج4 ص1985 وصحيح ابن حبان رقم الحديث 5687 ج12 ص499 وموطأ مالك م س رقم الحديث 3367/ 693 ج5 ص1333

16-سنن أبي داود م س رقم الحديث 4992 ج4 ص298 والسنن الكبرى للنسائ م س رقم الحديث 11845 ج10 ص403 وصحيح ابن حبان م س رقم الحديث 30 ج1 ص213

17- سورة مريم الآية 54

18-تفسير الألوسي م س ج 6 ص 52

19-سورة المائدة الآية 1

20-سورة البقرة الآية177

21-تفسير الألوسي م س ج1 ص444

22- صحيح البخاري م س رقم الحديث 34ج1ص16وصحيح مسلم م س رقم الحديث 106 - (58)ج1 ص78والسنن الكبرى للبيهقي م س رقم الحديث 18845ج9ص385وحصيح ابن حبان م س رقم الحديث 254ج1 ص488

والصدق في القول تعبير عن شخصية واضحة، ومروءة وشهامة وكرم، ولا يلجأ للكذب إلا لئيم الطبع، خبيث النفس، ضعيف الشخصية.

والفطرة السليمة تعيب الكذب وتستقبحه، ولذلك أجمعت الديانات السماوية على تحريمه وتجريمه.

فما بالك بالمسلم أتراه يتصور صدور الكذب منه عمدا، لا ولكن من المسلمين، من يتوسع في " التورية " بأن يقول كلاما يفهمه الناس على خلاف ما يقصد، وقد يكتشفون بعد أن الواقع على خلاف ما فهموا منه فيتهمونه بالكذب.. ثم إن التوسع في التورية قد يؤدي إلى التسامح في بعض " الكذب " بحجة أنها للمصلحة، فالحذر الحذر.

الوسيلة الأولى لنجاح المسلم الذي يدعو إلى دين الله تعالى هي: صدقه في حمل دعوته، وجديته في ذلك، وأن يكون الصدق في الأقوال والأعمال منهجه وشعاره. ليس المهم الكلمات المعسولة وإن كانت مطلوبة، و إنما الأهم من ذلك الصدق في الحديث، وأن يكون منسجما مع نفسه وقديما قيل: "الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان"

فالإسلام يدعو إلي العدل، والإحسان، وإيتاء ذي القربى، والنهي عن الفحشاء، والبغي على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، والوفاء بالعهود، والحقوق، والعقود،إنها دعوة تقوم على الأخلاق الحميدة والصدق في القول.

والمجتمعُ الإنساني المطمئن لا يقوم إلا على التوادد والتراحم، والتآخي والصدق والمحبة.

والعدل في القول من أعظم المسائل التي تحبب الإنسان إلى الآخرين، فإن الإنسان إذا حفظ لسانه من الكذب سلم الناس منه، وسلم هو منهم كذلك. في اللسان يهدم الأمم، ويرفع كذلك أمم. فعثرات اللسان كثيرة وخطيرة ومضرة.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة"23 قال شمس الدين الكرماني رحمه الله تعالى شارحا هذا الحديث: يعني من أدى الحق الذي على لسانه من ترك تكلم مالا يعنيه أو على فمه من ترك أكل ما لا يحّل له، أو الحق الذي على فرجه من ترك الزنا أو أدى حقه ... وفيه أن عظم البلاء على العبد في الدنيا اللسان والفرج فمن وقى شرهما فقد وقى أعظم الشرور.24

والذي أحب أن أنبه إليه هو أن الصدق لا يندم صاحبه عليه و إن وقع في المحظور، فإنه سيفرح في يوم ما على صدقه وعدم كذبه.

أما الكذب فصاحبه لا محالة خاسر في الدنيا والآخرة، وعاض على يده لوقوعه في الكذب.

ولكن من تاب تاب الله عليه، فلا يقنط أحد من رحمة الله تعالى، فإنه لا يقنط من رحمة الله إلى القوم الخاسرون. كما قال عز وجل.

فالإسلام أكد أهمية الإيفاء بالقول وخصه بوصية تنويها بشأنه العظيم في إصلاح المجتمع فهذا النوع من التعامل الاجتماعي من أبرز ما يحصل به الاحتكاك بين أفراد المجتمع في حياتهم اليومية.

ونوه سبحانه بالأساس الذي يقوم عليه أمر إيفاء الحقوق وهو العدل في كل شأن من شؤون الحياة، ولعل ذكر القول هنا دون غيره إشارة إلى أن القول والتخاطب هو العامل الرئيسي في المعاملات، فأراد رب العزة والجلال أن يقرر أن وسيلة التعامل يجب أن تكون مبنية على الأساس الذي يحفظ الحقوق وهو العدل فكما أن العدل واجب في الأفعال كالأوزان والمكاييل، فهو كذلك واجب في الأقوال التي تبنى عليها المعاملات بين أفراد المجتمع، لأن العدل أساس عظيم تصلح به شؤون البشرية جمعاء، فالعدل أساس المدنيات، وركن تقوم عليه حضارة الأمة، وبه يشمخ البناء، وتعلو صروح الفضيلة في المجتمع، وهو أساس دوام الملك، والمحور الذي يرتكز

[23]-صحيح البخاري م س رقم الحديث 6474 ج 8 ص100 والسنن الكبرى للبيهقي م س رقم الحديث 16671 ج8 ص287
[24]- الكواكب الدراري م س ج 23 ص4

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد العاشر – العدد الثالث – البحث السادس (ص: 112 - 120)
15 – أيلول – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

عليه النظام الإنساني في كل ما يتعلق بحياة هذا المخلوق، فلا يجوز لمؤمن أَن ينتهك حمى العدل الذي جعله الله تعالى قواما.

المطلب الثاني: العدل في الأفعال ومزاياه الاجتماعية

لقد وصى الله تعالى بإيفاء العهد فقال سبحانه وتعالى: (وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ25) أمر الله تعالى عباده أن يطيعوه ويعملوا بأوامره وينتهوا عن نواهيه.

وهذه الوصية يمكن أن نقول إنها راجعة إلى جميع ما تقدم من الوصايا العشر مثل: قول الحق والعدل ولو كان على ذي قربى، ومن عهد الله توفيه المكيال والميزان بالعدل، ومن عهد الله ألا يقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، ومن عهد الله حرمة النفس إلا بالحق، ومن عهد الله ألا يشركوا به شيئاً، لعلهم يتَّعظون، وينتهون عما كانوا عليه قبل هذا.

قال سيد قطب رحمه الله تعالى: ومن عهد الله قولة الحق والعدل ولو كان ذا قربي. ومن عهد الله توفية الكيل والميزان بالقسط. ومن عهد الله ألا يقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن. ومن عهد الله حرمة النفس إلا بالحق. وقبل ذلك كله. ومن عهد الله ألا يشركوا به شيئا، فهذا هو العهد الأكبر المأخوذ على فطرة البشر، بحكم خلقتها متصلة، بمدعها، شاعرة بوجوده في النواميس التي تحكمها كما تحكم الكون من حولها.26

ومما تقدم يتضح لنا أن تلك الأوامر والنواهي، وتلك الأسس الاجتماعية، ما هي إلا أجزاء عقد أقامه الرب سبحانه وتعالى بينه وبين عباده، ويتمثل ذلك العقد في القيام بتلك الأوامر والنواهي فعلا وتركا، والعهد شامل لكل ما عهده الله إلى الناس كافة على ألسنة الرسل، فطلب من هذه الأمة الوفاء بما عهد إليها فقال الله تعالى: (وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا) فالوفاء بكل عهد بين العبد وربه مطلوب شرعاً، وهذا معلوم. والوفاء بالعهد يشمل أيضاً ما يعاهد الناس عليه بعضهم.

قال القرطبي رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية: (وبعهد الله أوفوا) عام في جميع ما عهده الله إلى عباده. ومحتمل أن يراد به جميع ما انعقد بين إنسانين. وأضيف ذلك العهد إلى الله من حيث أمر بحفظه والوفاء به (لعلكم تذكرون) تتعظون.27

الوفاء بالعهد أصل من أصول الشريعة التي يتحقق من خلالها الخير والعدل والصلاح، واستقامة أحوال المجتمع، فعلى المسلم أن يكون وفياً مع الله ، فيما عاهد عليه الله من الاستقامة على العقيدة ، والبعد عن قتل الولد أو إهماله، وعدم ممارسة الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، وصيانة النفوس، والمحافظة على مال اليتيم، وحسن التعامل في الكيل والوزن، وكل المبادلات التجارية، وتطبيق العدل على كل الناس. قال تعالى: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً28) قال الطبري رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية: إن الله جل ثناؤه سائل ناقض العهد عن نقضه إياه، يقول: فلا تنقضوا العهود الجائزة بينكم، وبين من عاهدتموه أيها الناس فتخفروه، وتغدروا بمن أعطيتموه ذلك. وإنما عنى بذلك أن العهد كان مطلوبا، يقال في الكلام: ليسألن فلان عهد فلان.29

وقول الله تعالى: (وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا30) قال ابن كثير رحمه الله تعالى عند هذه الآية: أي: ثوابا جزيلا. وهذه البيعة هي بيعة الرضوان، وكانت تحت شجرة سمر بالحديبية، وكان الصحابة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ قيل: ألف وثلثمائة. وقيل: أربعمائة. وقيل:

---

[25]-سورة الأنعام الآية 152
[26]- في ظلال القرآن م س ج3 ص1233
[27]- تفسير القرطبي م س ج7 ص137
[28]-سورة الإسراء الآية34
[29]-تفسير الطبري م س ج14 ص 591
[30]-سورة الفتح الآية 10

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد العاشر – العدد الثالث – البحث السادس (ص: 112 - 120)
15 – أيلول – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

وخمسمائة. والأوسط أصح.31وقوله تعالى: (مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا32) قال السمعاني رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية: أي: قاموا بما عاهدوا الله عليه، ويقال: قاموا بالأمر على الوفاء والصدق.وقوله: (فمنهم من قضى نحبه) النحب يرد بمعاني كثيرة، وأولى المعاني أنه بمعنى العهد، فمعنى الآية: أتم العهد وقام به، قال الحسن البصري: أي أقام بالوفاء والصدق. وقال ابن قتيبة: النحب هو النذر، ومعنى قضى نحبه ها هنا أي: قتل في سبيل الله.33

فالمسلم هو الذي ينطبق عليه الوفاء بكل التزام من عقد أو عهد، لأن تنفيذ العهد دليل بالوفاء، والإخلال به من مظاهر الكفر والنفاق ، قال عليه الصلاة والسلام ، فيما يرويه عن ربه عز وجل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم : "قال الله تعالى ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره"34 .

قال محمد بن إسماعيل الكحلاني شارحا هذا الحديث: فيه دلالة على شدة جرم من ذكر وأنه تعالى يخصمهم يوم القيامة نيابة عمن ظلموهم، وقوله أعطى بي أي حلف باسمي وعاهد أو أعطى الأمان باسمي وبما شرعته من ديني، وتحريم الغدر والنكث مجمع عليه، وكذا بيع الحر مجمع على تحريمه، وقوله استوفى منه أي استكمل منه العمل ولم يعطه الأجرة فهو أكل لماله بالباطل مع تعبه وكده.35إذا ساد العدل حفظت الحقوق، ونصر المظلوم، وولت الهموم، وأدبرت الغموم.

أما حينما يتجافى الناس عن العدل، ويقعون في الظلم، فإنه ينبت فيهم الحقد والقطيعة والفرقة.

ومن تجافى عن العدل دخل دائرة الظلم، يأخذ ولا يعطي، ويغلب ولا ينبل، يأخذ الذي لا يستحق، ويمتنع عما يحق، تغلبه مسالك المنافقين. إن الحيف وسلب الحقوق وإهدار الكرامات مبعث الشقاء ومثار الفتن. إن قوما يفشوا فيهم الظلم والتظالم، وينحسر عنهم الحق،فهم لا محالة خاسرون.

فالإسلام يقر بحقوق المجتمع، والجماعة، والدولة بجوار حقوق الأفراد، وحفاظا على المصلحة العامة وتضامن المجتمع، فللجماعة حق في أموال الأفراد عن طريق فرض الزكاة، وتحقيق التكافل الاجتماعي، وتوفير حقوق وحاجيات الدفاع عن الأوطان، وفرض الضرائب العادلة المحققة للمصلحة العامة، وكفاية الفقراء، وإيجاب الوفاء بالنذور، والكفارات، وإخراج صدقات الفطر في رمضان قبيل صلاة عيد الفطر، وتوزيع الأضاحي في عيد الأكبر، والإنفاق على الأقارب. ولا يسمح الإسلام بأن تطغى مصلحة الفرد على مصلحة المجتمع، ولا أن تطغي مصلحة الدولة مصلحة الفرد.

فالشريعة المطهرة تدعو إلى مراعاة الحق، والعدل، والمساواة، بين جميع الأفراد والمجتمعات، وإشاعة عاطفة التراحم والمودة بين الناس، والإحسان والتكافل، دون تظالم، ولا اغتصاب، ولا اعتداء، على الحقوق المشروعة، سواء للفرد الواحد أو الجماعة . ويهدف هذا النظام السليم لتحقيق الرخاء للجميع، ومحاربة الفقر والجهل والمرض والتخلف.

فالوفاء بعهد الله تعالى من أعظم ما يقوي علاقة الأفراد فيما بينهم، وبين الأفراد والمجتمعات، وبين المجتمعات، والدول.

31-تفسير ابن كثير م س ج ص330

32- سورة الأحزاب الآية 23-24

33- تفسير القرآن لأبي المظفر ج 4 ص271

34-صحيح البخاري م س رقم الحديث 2227ج3ص82وسنن ابن ماجه م س رقم الحديث 2442ج2ص816والسنن الكبرى للبيهقي م س رقم الحديث 11053ج6ص23ومسند أحمد م س رقم الحديث 8692ج14ص318وهناك فرق بين البخاري والبيقهي وأحمد فهم لفظ الحديث عندهم ولم يوفه أجره.

35- سبل السلام م س ج2 ص116

فإذا قام كل بما عليه قامت الدنيا وانتشر العدل، أما إذا لم يقم الإنسان بما أوجبه الله عليه لم تقم الدنيا، وإذا قامت فإنما تقوم على تهافت، ومشقة. وانتشر الظلم والحسد، والبغض بين أفراد المجتمع.

فالشريعة سديدة في أوامرها ونواهيها،و إنما جاءت لمصلحة العباد في العاجل والآجل، ولم تظهر تلك المصلحة بسبب فهمهم، ولكن المصلحة موجودة، علمها من علمها وجهلها من جهلها.

أمر الله بالعدل في حقه وفي حق عباده فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة بدون نقصان،بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه، من الحقوق المالية، والبدنية، والمركبة في حقه، وحق عباده. ويعامل الخلق بالعدل التام، والعدل هو ما فرضه الله في كتابه وعلى لسان رسوله وأمر بسلوكه.

ومن العدل في المعاملات أن تعامل الناس في عقود البيع، والشراء، وسائر المعاوضات، بإيفاء جميع ما عليك، فلا تبخس لهم حقا ولا تغشهم في معاملة،ولا تخدعهم، ولا تظلمهم، فالعدل معهم واجب، والإحسان إليهم فضيلة مستحب.

قال سيد قطب رحمه الله تعالى: هذه القواعد الأساسية الواضحة، التي تكاد تلخص العقيدة الإسلامية وشريعتها الاجتماعية، مبدوءة بتوحيد الله ومختومة بعهد الله، وما سبقها من حديث الحاكمية والتشريع... هذه هي صرط الله المستقيم...صراط واحد- وسبيل واحدة تؤدي إل الله.[36]

الخاتمة:

وفي ختام هذه الآيات إشارات عجيبة تدل على نسق القرآن، و محبته لفعل الخير والإرشاد.

قال ابن عطية الأندلسي رحمه الله تعالى: كانت المحرمات الأول لا يقع فيها عاقل قد نظر بعقله جاءت العبارة: (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) والمحرمات الأخر شهوات وقد يقع فيها من العقلاء من لم يتذكر جاءت العبارة: (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ثم لما كان ركوب الجادة الكاملة يتضمن فعل الفضائل وتلك درجة التقوى جاء العبارة: (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[37].

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية نافع
التفسير الوسيط للزحيلي، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي ج 1، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة : الأولى - 1422 هـ
السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: 444هـ) ج3 رقم الحديث 322، المحقق: د. رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة – الرياض، الطبعة: الأولى، 1416
المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ) ج3، قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني، قدَّم له: يوسف القَرَضَاوي، الناشر: دَار الغَرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م
المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)ج2 رقم الحديث3240، تحقيق: مصطفى عبد القادر الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 – 1990
شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، المؤلف: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد ج3 ، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م

[36]-في ظلال القرآن م س ج 3 ص1234

[37]-تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي(481ت 541) ص677-الناشر دار ابن حزم-الطبعة الأولى:1423هـ-2006م

مسند أبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: 307هـ) رقم الحديث 5669ج10، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، 1404 - 1984
تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي(481ت541) الناشر دار ابن حزم-الطبعة الأولى:1423هـ-2006م
تفسير التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور ج 8 الناشر دار سحنون-تونس
الأساس في التفسير لسعيد حوى ج3 الناشر دار السلام-الطبعة الثانية 1409هـ-1989م
الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل-محاضرات للأستاذ الشيخ جعفر السجاني-بقلم الشيخ حسن محمد مكي العاملي ج1 -الناشر الدار الإسلامية-الطبعة الثانية:1410هـ-1989م
البحر المحيط في التفسير لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي(654-754) ج4-الناشر دار الفكر-طبعة جديدة1412هـ-1992م